الصّراع الكوني

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: حزقيال ٢٨: ١، ٢؛ ١١- ١٧؛ تكوين ٣: ١- ٧؛ رؤيا ١٢: ١- ١٧؛ رومية ٨: ٣١- ٣٩؛ رؤيا ١٤: ١٢.

آية الحفظ: «فَغَضِبَ التِّنِّينُ عَلَى الْمَرْأَةِ، وَذَهَبَ لِيَصْنَعَ حَرْبًا مَعَ بَاقِي نَسْلِهَا الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وَصَايَا اللهِ، وَعِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رؤيا ١٢: ١٧).

إن الصراع الكوني، الذي يدعى أحياناً «الصراع العظيم»، هو النظرة الكتابية للعالم. إنه يُشكِّل الخلفية التي فيها تتكشف دراما عالمنا بل وحتى الكون بأكمله. فإن الخطية والمعاناة والموت وصعود وهبوط الأمم وانتشار بشارة الإنجيل وأحداث زمن النهاية، كل هذه الأمور تحدث في سياق الصراع الكوني.

في هذا الأسبوع سوف ننظر إلى عدد قليل من الأماكن الهامة التي ترسخ فيها الصراع، حيث بدأ بصورة غامضة إلى حد ما في قلب كائن كامل، لوسيفر، الذي جلب تمرده إلى الأرض من خلال سقوط كائنين كاملين آخرين هما آدم وحواء. وانطلاقاً من هاتين «النقطتين المحوريتين»، سقوط لوسيفر ومن ثم سقوط أبوينا الأولين، ترسخ الصراع العظيم وهو لا يزال مستعراً منذ ذلك الحين. وكل واحد منا هو جزء من تلك الدراما الكونية.

أما الأخبار السارة فهي أن يوماً ما لن ينتهي هذا الصراع فحسب، ولكنه سينتهي بنصرة المسيح التامة على الشيطان. والأخبار الأكثر روعة هي أنه يمكن لكل واحد منا أن يشارك في هذه النصرة بفضل تمام وكمال ما قام به يسوع على الصليب. وكجزء من هذه النصرة، يدعونا الله إلى الإيمان والطاعة الآن بينما نحن في انتظار ما وعدنا به في المسيح الذي مجيئه مؤكد.

*نرجو التعمق في موضع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٧ نيسان (أبريل).

سقوط كائن كامل

إذا كان الصراع الكوني يشكِّل الخلفية للنظرة الكتابية لعالمنا، فإنَّ ذلك يقودنا إلى عدد من الأسئلة. وأحد أهم هذه الأسئلة هو، كيف بدأ ذلك الصراع؟ فحقيقة أن الله المُحب قد خلق الكون، تجعل مِن المعقول أن نفترض أن أموراً مثل الشَّر والعنف والنزاع لم تكن متضمنة في الخلق منذ البداية. فلابد وأن الصراع قد حدث نتيجة الانفصال عن الخلق الأصلي ولم يكن بالضرورة ناتجاً عنه. ومع ذلك، فإنَّ الصِّراع متواجد وهو حقيقة واقعة، ونحن جميعاً منخرطون في هذا الصِّراع.

اقرأ حزقيال ٢٨: ١، ٢؛ ١١-١٧وإشعياء ١٤: ١٢- ١٤. ماذا تعلّمنا هذه الفقرات الكتابية عن سقوط لوسيفر ونشأة الشر؟

كان لوسيفر كائناً كاملاً في السماء. فكيف أمكن للإثم أن ينشأ فيه، خصوصاً في بيئة من هذا القبيل. نحن لا نعرف؟ وربما هذا هو أحد الأسباب لماذا يتحدث الكتاب المُقَدَّس عن «سِرَّ الإِثْمِ» (٢ تسالونيكي ٢: ٧).

إنه باستثناء حقيقة الإرادة الحرة التي منحها الله لكل مخلوقاته العاقلة، لا يوجد سبب لسقوط إبليس. تقدم روح النبوة تعليقاً قوياً في هذا الصدد، حيث كتبت ما يلي: «من المستحيل علينا أن نوضح أصل الخطيئة بحيث نقدم سببا لوجودها. ... الخطيئة دخيلة ولا يمكن تعليل وجودها، وهي سر لا مبرر له. فتبريرها هو دفاع عنها. ولو وُجد عذر لها أو سبب لوجودها لما اعتُبرت خطيئة» (الصراع العظيم، صفحة ٥٣٦).

استبدل كلمة خطية بكلمة شر وستجد أن العبارة ستعطي نفس المعنى. من المستحيل علينا أن نوضح أصل الشر بحيث نقدم سببا لوجوده. ... الشر دخيل ولا يمكن تعليل وجوده، وهو سر لا مبرر له. فتبريره هو دفاع عنه. ولو وُجد عذر له أو سبب لوجوده لما اعتُبر شراً.

فكر في الاختبارات الخاصة بك فيما يتعلق بحقيقة الإرادة الحرة. لماذا، إذن، يجب علينا أن نفكر بخشوع وحرص في الخيارات التي نقدم عليها مستخدمين إرادتنا الحرة؟

الاثنين

٢ نيسان (أبريل)

أكثر من مجرد المعرفة الذهنية

على الرغم من أنه لا يمكننا أن نفسر سبب نشأة الشر (حيث أن ليس هناك مبرر لوجوده)، إلا أن الكتاب المُقَدَّس يكشف أن الشر قد بدأ في قلب لوسيفر في السماء. فإنه بالإضافة إلى المعلومات الرائعة التي نحصل عليها من كتابات إلن هوايت، (انظر على سبيل المثال الفصل ١٠ الذي بعنوان «أصل الشر» في كتاب الصراع العظيم)، لا يخبرنا الكتاب المُقَدَّس الكثير عن كيف بدأ الشر في السماء. مع ذلك، فالكتاب المُقَدَّس أكثر وضوحاً فيما يتعلق بكيف نشأ الشر على الأرض.

اقرأ تكوين ٣: ١- ٧. ما الذي حصل هنا ما يُظهر ذنب آدم وحواء فيما حدث؟

المحزن جداً هنا هو أن حواء كانت تعرف ما قاله الله لهما. وقد كررت هذه الكلمات: «قَالَ اللهُ: ‹لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا› » (تكوين ٣: ٣). وعلى الرغم من أن الكتاب المُقَدَّس لم يخبرنا أن هناك ما قيل عن لمس الشجرة، إلا أن حواء كانت تعرف حقيقة أن الأكل من الشجرة من شأنه أن يؤدي إلى الموت.

بعد ذلك، ناقض الشيطان بشكل علني وصارخ هذه الكلمات. «فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا» (تكوين ٣: ٣).

وهل يمكن للتباين أن يكون أكثر وضوحاً من ذلك؟ فإنه على الرغم من الأسلوب الماكر الذي استخدمه الشيطان مع حواء في البداية، إلا أنه بمجرد أن تمكن من جذب انتباهها ورأى أنها لم تكن تقاوم، حتى بدأ بتحدي وصية الله بصورة علنية. والشيء المأساوي هو أن حواء لم تكن تتصرف من منطلق الجهل بالشيء. فإنه لم يكن بمقدورها أن تدعي قائلة، «أنا لم أكن أعرف، أنا لم أكن أعرف.»

إنها في الواقع كانت تعرف.

مع ذلك، وعلى الرغم من هذه المعرفة، فقد ارتكبت حواء الخطأ. فإذا كانت المعرفة ذاتها، حتى في بيئة عدن المثالية، لم تكن كافية لمنع حواء (ثم آدم، الذي كان يعرف الحقيقة أيضاً) من ارتكاب الإثم، فإنه لا ينبغي أن نخدع أنفسنا بالتفكير في أن المعرفة وحدها كافية لتخلصنا الآن. نعم، نحن بحاجة إلى أن نعرف ما تخبرنا به كلمة الله. ولكن إلى جانب معرفة ذلك، نحن بحاجة إلى الخضوع كذلك بحيث نطيع ما تقوله لنا كلمة الله.

قال الله شيئاً، وقال الشيطان شيئاً آخر. وعلى الرغم من المعرفة التي كانت لدى آدم وحواء، إلا أنهما اختارا أن يصغيا إلى الشيطان. فكر في كيف أن الأمر لم يتغير كثيراً على مدى آلاف السنين. كيف يمكننا تجنب الوقوع في نفس الخطأ؟

الحرب في السماء والأرض

إن سقوط أبوينا الأولين تسبب في إغراق العالم في الخطية والشر والموت. قد يختلف الناس حول الأسباب المباشرة، أو مَن هو المخطئ، لكن مَن يمكنه أن ينكر حقيقة الاضطراب والعنف والصراع والنزاع الذي أصابنا جميعاً هنا على هذه الأرض؟

نحن نتحدث عن صراع كوني، نزاع كوني؛ وهذا أمر لا بأس به وصحيح. لكن بغض النظر عن الأصول الكونية لهذا الصراع، فالمؤكد هو أن هذا الصراع يدور هنا على الأرض، كذلك. في الواقع، إن الكثير من التاريخ الكتابي – بدءاً من السقوط في عدن وصولاً إلى الأحداث الأخيرة المؤدية إلى المجيء الثاني للمسيح – هي، من نواح كثيرة، التصوير الكتابي للصراع العظيم. فإننا نعيش في خضم هذا الصراع. وتوضح لنا كلمة الله حقيقة ما يجري من أحداث، وما هي الأسباب الكامنة وراء حدوثها. والأهم من ذلك، تخبرنا كلمة الله كيف سينتهي هذا الصراع.

اقرأ رؤيا ١٢: ١- ١٧. ما هي المعارك التي يصوّرها هذا الأصحاح على أنها تدور في السماء وعلى الأرض؟

إننا نرى معركة في السماء، ومعارك على الأرض كذلك. المعركة الأولى بين التنين (الشيطان، رؤيا ١٢: ٧-٩) وميخائيل (المعنى العبري لهذه الكلمة هو «مَن مِثْل الله؟»). وأصبح المتمرد لوسيفر يُعْرَفُ باسم الشيطان (المُخَاصِم)، الذي هو مجرد كائن مخلوق يحارب ضد الخالق الأزلي، يسوع المسيح (عبرانيين ١: ١، ٢؛ يوحنا ١: ١- ٤).

لقد كان لوسيفر يتمرد على خالقه. إنَّ الصراع العظيم لا يدور حول آلهة متبارزة ومتناحرة، ولكنه يتعلق بمخلوق تمرد على خالقة معلناً ذلك التمرد من خلال مهاجمة الخليقة كذلك.

بعد فشل الشيطان في معركته ضد المسيح في السماء، سعى الشيطان إلى مطاردة المسيح على الأرض بعد ميلاده بالجسد مباشرة (رؤيا ١٢: ٤). وبعد أن فشل الشيطان في معركته ضد المسيح عند ولادته، ثم فشله ضد المسيح في البرّية، وفشله ضد المسيح على الصليب، حيث لقي الشيطان هزيمة نِهَائِيّة على الجلجثة، ذهب الشيطان ليصنع حرباً ضد شعب المسيح. وقد احتدمت هذه الحرب عبر معظم التاريخ المسيحي (رؤيا ١٢: ٦و ١٤- ١٦) وسوف تستمر حتى النهاية (رؤيا ١٢: ١٧)، إلى أن يواجه الشيطان هزيمة أخرى، عند المجيء الثاني للمسيح.

اقرأ رؤيا ١٢: ١٠- ١٢. ما هو الرجاء الذي نجده في هذه الآيات في خضم كل هذا الصراع والنزاع الذي نشهده في الفقرات الكتابية الأخرى؟

مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ

تنبأ سفر الرؤيا عن الاضطهاد الذي سيواجه شعب الله خلال حقبة كبيرة من تاريخ الكنيسة. تشير فترة الـ ١٢٦٠ يوماً في رؤيا ١٢: ٦ (انظر كذلك رؤيا ١٢: ١٤) إلى الـ ١٢٦٠ عاماً من الاضطهاد ضد الكنيسة.

«هذه الاضطهادات التي بدأت في أثناء حكم نيرون قُبَيل استشهاد بولس ظلت رحاها تدور أمدا طويلا، تشتد أحيانا وتخف أخرى، وقد ظلت نارها مشتعلة قرونا. لقد اتهم المسيحيون كذبا بجرائم مخيفة، وأعلن أنهم السبب في كل الكوارث العظيمة، كالمجاعات والأوبئة والزلازل. وإذ صاروا هدفا لكراهية الجماهير وارتيابهم فقد وقف الوشاة مستعدين لتسليم أولئك الأبرياء للموت طمعاً في الربح القبيح والحصول على المال الملوث بالدماء الزكية. وقد حُكم عليهم بأنهم متمردون وثائرون على حكم الإمبراطورية وانهم أعداء الدين وآفات المجتمع. وقد طُرح عدد غفير منهم للوحوش الكاسرة أو أحرقوا أحياء في مدرَّجات الألعاب العامة وساحاتها.» (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٤٥).

في الوقت ذاته، هربت المرأة (الكنيسة) إلى البرّية (رؤيا ١٢: ٦). وقد وُصِفَت مرتين بأن لها جَنَاحَانِ مثل النسر. وهذا يعطي صورة التحليق بعيداً حيث يمكن الحصول على المساعدة. وقد تم الاعتناء بالمرأة (الكنيسة) في البرية، ولم تتمكن الحية، أو الشيطان، من النيل منها (رؤيا ١٢: ١٤). لقد حافظ الله دائماً على بقية حتى خلال الاضطهادات الكبرى، وهو سيفعل ذلك مرة أخرى في نهاية الزمان.

في سياق مخاطر الأيام الأخيرة، قال المسيح لشعبه: « ‹وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ› » (متى ٢٨: ٢٠). كيف نفهم هذا الوعد الرائع، حتى في ظل تعرُّض أعداد كبيرة من أتباعه للاستشهاد؟ (انظر رومية ٨: ٣١-٣٩ ومتى ١٠: ٢٨).

لا شيء – لا الاضطهاد، الجوع، أو الموت – يمكنه أن يفصلنا عن محبة الله. إن حضور المسيح معنا، سواء الآن أو في أزمنة النهاية، لا يعني أننا بمنأى عن الألم والمعاناة والتجارب، أو حتى الموت. إننا لم نوعَد أبداً بمثل هذه الإعفاءات في هذه الحياة. إن ما يعنيه هو أنه، من خلال المسيح وما فعله من أجلنا، يمكننا العيش على الرجاء والوعد بأن الله معنا في هذه التجارب والمحن وبأن لنا الوعد بالحياة الأبدية في السموات الجديدة والأرض الجديدة. يمكننا العيش على رجاء أنه، وبغض النظر عن أي شيء نمر به هنا، يمكننا مثل بولس، أن نكون متيقنين من أنه «قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ

الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا» (٢ تيموثاوس ٤: ٨). نحن الذين «يحبون ظهوره» يمكننا المطالبة بهذا الرجاء والوعد لأنفسنا كذلك.

الخميس

٥ نيسان (أبريل)

الناموس والبشارة

كأدفنتست سبتيين، يحمل اسمنا الكثير مما نمثِّله. فجزئية «السبتيين» تمثِّل سبت اليوم السابع، الذي يشير إلى إيماننا، ليس فقط بهذه الوصية الواحدة فحسب، بل بكل الوصايا العشر. أما جزئية «الأدفنتست» أو «المجيئيين» باللغة العربية، فتشير إلى إيماننا بالمجيء الثاني للمسيح، وهي الحقيقة التي تشير إلى ما فعله المسيح بموته الكفاري عند مجيئه الأول إلى عالمنا. لذلك، فإن اسم كنيستنا «الأدفنتست السبتيين» يشير إلى مُكَوّنين رئيسيين من مُكَوّنات الحق الحاضر: الناموس والبشارة.

كيف تشير هذه النصوص إلى مدى الارتباط الوثيق بين الناموس والبشارة؟

إرميا ٤٤: ٢٣ _____

رومية ٣: ٢٠-٢٦ _____

رومية ٧: ٧ _____

إن البشارة هي الأخبار السارة بأنه بالرغم من أننا قد أخطأنا من خلال انتهاكنا لشريعة الله، إلا أنه يمكن لخطايانا الناجمة عن تعدينا على ناموس الله أن تُغْتَفَر وذلك من خلال الإيمان بما فعله المسيح من أجلنا على الصليب. كما أننا قد أُعطينا القدرة على إطاعة ذلك الناموس بصورة تامة وكاملة.

لا عجب إذن أنه، في سياق الأيام الأخيرة وإذ يستعر الصراع العظيم بوحشية خاصة، يتم تصوير شعب الله بطريقة محددة وخاصة جداً.

اقرأ رؤيا ١٤: ١٢. كيف تكشف هذه الآية الصلة بين الناموس والبشارة؟

كأدفنتست سبتيين، بوصفنا شعب يؤمن بإطاعة ناموس الله، كيف يمكننا أن نظهر للآخرين أن إطاعتنا للناموس ليست تزمتاً وإنما نتيجة طبيعية لمحبتنا لله ولكوننا مُخلَّصين مِن قِبَله. كيف يمكن لفقرات كتابية مثل تثنية ١١: ١ و١يوحنا ٥: ٣ أن تدعم هذه النقطة؟

الجمعة

٦ نيسان (أبريل)

لمزيد مِن الدرس: لمزيد من الدرس: اقرأ رؤيا ١٢: ٩- ١٢، والفصل الذي بعنوان «لماذا دخلت الخطية»، صفحة ١٣- ٢٣، في كتاب الآباء والأنبياء لإلن هوايت.

«لقد كان هنالك انسجام تام في كل المسكونة طالما اعترفت كل الخلائق بولاء المحبة لله، وكانت مسرة الجند السماويين أن يتمموا قصد خالقهم، وابتهجوا بأن يعكسوا بهاء مجده ويسبحوا بحمده. وفيما كانت محبتهم لله تستحوذ على قلوبهم كانت محبتهم بعضهم لبعض أمرا يقينيا، ولا أثر فيها للأنانية، ولم يكن هنالك أي نشاز في تسبيحات السماويين. ولكن تغييرا محزنا طرأ على تلك السعادة، فقد وجد من أساء استعمال الحرية التي منحها الله لخلائقه، إذ بدأت الخطية بالذي، إذ لم يفقه سوى المسيح خالقه، حصل على أعظم كرامة من الله» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٤).

لاحظ كلمات روح النبوة «ولاء المحبة.» هذه عبارة قوية ومليئة بالمعنى، وهي تشير إلى حقيقة أن المحبة تقود إلى الولاء والإخلاص. إن من يحب شريك حياته الزوجية سوف يظهر تلك المحبة من خلال ولائه وإخلاصه. وقد كان الأمر كذلك بالنسبة لهذه الكائنات في السماء، وينبغي أن يكون الأمر على هذا النحو الآن في علاقتنا مع الله.

أسئلة للنقاش

١. ما هو الدليل الكتابي لدينا والذي يشير ليس إلى حقيقة الشيطان فحسب بل وإلى دوره في الصراع العظيم؟ كيف يمكننا أن نساعد الناس على فهم حقيقة الشيطان ككائن موجود وليس مجرد رمز للشر في قلب الإنسان؟

٢. كأدفنتست سبتيين، نحن قد بوركنا بقدر كبير جداً من المعرفة فيما يتعلق بالحقائق الكتابية؟ مع ذلك، وبقدر روعة هذا الأمر، لماذا تعتبر هذه المعرفة غير كافية لخلاصنا؟ ما الذي نحن بحاجة إليه أكثر من مجرد المعرفة الذهنية؟

٣. ما هي الطرق التي اختبرتَ من خلالها حضور المسيح في حياتك، حتى في الوقت الراهن؟ كيف يمكن لهذه الاختبارات أن تساعدك في أي وقت من أوقات الضيق والشِّدَّة التي عليك مواجهتها؟

٤. في الصف، تحدثوا أكثر عن عبارة «ولاء المحبة». كيف يمكن لهذه الفكرة أن تساعدنا على أن نفهم بشكل أفضل العلاقة بين الناموس والنعمة وبين الإيمان والطاعة؟ ماذا تعلمنا هذه العبارة عن الحرية الكامنة في مجمل فكرة المحبة؟ ما هي بعض الطرق، حتى في وقتنا الحالي، التي يمكننا بها إظهار «ولاء المحبة»؟